أفاق فكرية

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507

ص . ص 40 - 55

الطريقة التجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية

hafidhistoire1463@gmail.com

الطريقة التجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية 1196 - 1242 هـ (1782- 1826م)

- عبد الحفيظ حيمي
- جامعة طاهري محمد – بشار
- hafidhistoire1463@gmail.com

تاريخ الارسال : 2018-05-02 تاريخ القبول :2018-07-06

الملخص: لقد شهدت الطريقة التجانية منذ تأسيسها مضايقات من قبل السلطة العثمانية، بسبب المكانة الواسعة التي كان يتمتع بها أحمد التجاني وسط الصحراء الجزائرية، والتفاف السكان حوله، وانتشار طريقته بشكل سريع ملفت للانتباه، إذ قام بايات بايلك الغرب بتضييق الخناق عليه، وشن حملات عسكرية على منطقة عين ماضي التي كانت تمثل المركز الرئيسي للطريقة.

ونتيجة الضغوط التي مارسها بايات وهران على أحمد التجاني، بملاحقة الباي عثمان له بقرية أبي سمغون، هاجر إلى مدينة فاس برفقة أهله وتلامذته سنة 1213هـ(1798م)، ومع ذلك كله لم يمنع من انتشار طريقته التي ذاع صيتها وازداد أتباعها، لذلك حاول بايات وهران الحد من نفوذها بتشديد الحصار عليها، وإرهاق سكان عين ماضي بالضرائب، فكان ذلك إذانا بقيام الثورة التجانية ضد السلطة الحاكمة.

فما طبيعة الحركة الدينية للطريقة التجانية؟ وما موقف العثمانيين منها؟ وما هي الأسباب الحقيقية التي كانت دافعا لقيام الثورة التجانية ضد السلطة العثمانية؟ وما الانعكاسات والآثار التي خلفتها تلك الثورة على الجانب الديني والمسار السياسي للحكم العثماني في الجزائر؟

الكلمات المفتاحية: الطريقة التجانية ; الدولة العثمانية ; أحمد التجاني ; الباي حسن بن موسى : عواجة

The tijani method in Algeria and the position of the Ottoman authority are guaranteed through local sources 1782-1826

Astract: The tijani confrérie has witnessed the harassement by the Ottoman authority because of the extensive position that Ahmed Tijani enjoyed in the Algerian Sahara, the surrounding population, and the rapid spread of his approach. Bayat Bayelk clamped down on him ans launched a military campaigns on thé area of Ain Madi, which was the main center of the confrérie.

As a result of the pressure exerted by Bayat Oran on Ahmad al-Tijani, following the persecution of Bayi Osman in the village of Abu Simgoun, he emigrated to Fez with his family and his students in 1298 AH (1798), yet he did not prevent the spread of his reputation and its follower. Si bayat Oran tried to limit its depletion by tightening the siege on it, and exhausting the in habitants of Ain Madi with taxes. This was a sign of the rise of the Ta'jani revolt against the ruling authority

What is the nature of the religious movement of the Tajanit way? What is the attitude of the Ottomans? What are the real reasons that led to the revolt against the Ottoman regime? What are the implications and effects of this revolution on the religious side and the political course of Ottoman rule in Algeria Suggérer une
modification ؟

Keywords: The Tijani Method ; The Ottoman Empire ;Ahmed Al-Tijani ; Al-Bay Hassan Bin Musa : Awajah

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 40 - 55
hafidhistoire1463@gmail.com

تقديم:

لقد أبلى الأخوين عروج وخير الدين بلاء حسنا في صد التحرشات الإسبانية عن السواحل الجزائرية، فكان ذلك سببا في التحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1518م، لتصبح إيالة عثمانية، بحيث سعى قادة الإيالة للتقرب من العلماء والمرابطين وشيوخ الطرق الصوفية ليكونوا واسطة بينهم وبين السكان وذلك قصد كسب التأييد الشعبي لهم، باعتبار أن رجال الطرق الصوفية يمتلكون سلطة روحية وأحيانا زمنية على فيئات عريضة من السكان، ومن جهة أخرى لإيجاد دعم شعبي للتصدي لغزوات الإسبان على السواحل الجزائرية، فكان لذلك الدور أهمية كبيرة في تحسن العلاقة بين السلطة العثمانية من جهة والعلماء والمرابطين وشيوخ الطرق الصوفية.

لقد استمرت العلاقة الحسنة بين السلطة العثمانية ورجال الطرق الصوفية إلى غاية نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ومنذ ذلك الحين بدأت تلك العلاقة تتدهور ولاسيما بعد تحرير ميناء وهران 1792م، بحيث انقلب العلماء وشيوخ الطرق الصوفية إلى محرضين ضد السلطات العثمانية بعد أن كانوا مؤيدين لها ، ومن تلك الطرق التي تعرضت إلى مضايقات الطريقة التجانية التي دخلت في صراع ومجابهة عسكرية مع السلطة العثمانية. فماهي الظروف المحيطة بتأسيس الطريقة التجانية؟ و ماهي الأسباب التي كانت وراء توتر العلاقة بينها وبين السلطة العثمانية؟ وما هي آثار و انعكسات ذلك الصراع على الوجود العثماني في الجزائر؟

1- تأسيس الطريقة التجانية:

1-1 التعريف بأحمد التجاني:

أحمد التجاني هو أبو العباس أحمد بن محمد المختار بن سالم التجاني من نسب شريف، ولد سنة 1150هـ(1737م) بعين ماضي[1] ،ويكون جده الرابع محمد بن سالم انتقل من قبيلة عبدة بنواحي آسفي مع أسرته إلى بني توجين – تجانة- بعين ماضي بنواحي الأغواط حيث تزوج منهم، و لقب التجاني يعود إلى أخواله [2] .

نشأ أحمد التجاني وتربى بعين ماضي وسط عائلة ذات مستوى علمي، وانتمائها للتصوف، فشب على التدين واتسم بالأخلاق الكريمة، بحيث تلقى حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنوات

hafidhistoire1463@gmail.com

[3] ، وتلقى مبادئ العلوم على يد شيوخ أجلاء، بحيث نبغ في علوم الفقه والتفسير والحديث، وأكمل دراسة التصوف فسافر في طلب ذلك من بلد إلى آخر حتى بلغ مراده [4].

2-1 رحلات أحمد التجاني :

قام التجاني برحلات خارج مسقط رأسه،منها إلى فاس سنة 1171هـ (1758م) وتلقى العلوم ومعارف التصوف عن شيوخها العظماء [5]، منهم الشيخ الطيب بن عبد الله بن إبراهيم اليملحي وأحمد الصقلي، وغيرهم من العلماء والشيوخ الذين حضر مجالسهم العلمية وبخاصة في الفقه وعلوم القرآن والتفسير والحديث [6].

ولما حصل على مبتغاه رجع إلى لوطنه الجزائر راغبا في نشر ما تعلمه في أوساط طلاب العلم، فنزل ببلدة الأبيض سيد الشيخ [7]، مكث بها خمس سنوات مارس فيها مهنة التدريس، وكان من حين إلى آخر يزور مسقط رأسه [8]، ثم شد الرحال إلى مدينة تلمسان، واستقر بها، ودرس التفسير والحديث بمسجدها الكبير [9]، وغادرها سنة 1186هـ (1772م) متجها لأداء فريضة الحج، وفي طريقه التقى بالشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الزهري، وتلقى على يده الطريقة الرحمانية الخلوتية، ثم انتقل إلى تونس فمكث بها سنة كاملة ليأخذ من علمائها وعن أ التصوف والصلاح [10].

وهو في طريقه إلى الحج التقاء في مصر بن شيخ محمود الكردي فاخذ عنه الطريقة الخلوتيه وبعدما أن قضاء سنتين بالمشرق العربي رجع إلى تلمسان ثم انتقاليه إلى مدينه فاس بسبب مضايقه السلطات العثمانيه له تم اتجاه نحوه الصحراء سنه 1196 هجريه موافق لي 1782 ميلاديه ونزل بقريه بوسمغون ثم انتقل إلى منطقة توات وبعدها إلى مدينه تازه في زياره أهل العلم والصلاح [11].

3-1- الفتح للشيخ أحمد التجاني :

يرى اتباع الطريقه التجانيه ان الشيخ احمد التيجاني تم له الفتح حينما كان في بوسمغون ، ويزعم انه رأي الرسول صلى الله عليه وسلم يقظه لا منامه واخبره لعلو مقامه وامره بترك جميع الطرق التي تلقاها قبل و عين له الورد الذي يخص طريقته الجديدة وأمره تلقينها للناس من غيري خلوة [12] .

hafidhistoire1463@gmail.com

ولما أعلن عن الفتح الذي تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم بدا الناس يتوافدون عليه من كل حدث وصوب وقصدته الوفود من جميع أنحاء الصحراء[13]،ولم أكثر أتباعه ظهرت بوادر التأسيس بطريقته الجديدة منذ سنه 1196 هجريه الموافق لي 1782 ميلاديه فكانت مدينه عين ماضي مسقط رأسه مقرا لطريقته[14] ،وبدا في تلقين في مريديه الأوراد كما عمل علي نشر طريقه في أوساط الصحراء، كان في كل مكان ينزل أو يحل به يؤسس به زاوية بهدف نشر طريقته، لتكون مراكز يشرح فيها طريقته في أوساط عامه الناس والتجار والفقهاء الطلاب [15].

و لم يمض وقت طويل حتى توسع نفوذه وانتشر الطريقة التجانيه وتضاعف عدد أتباعها[16]، وبخاصة في الصحراء بحيث أصبح الأتباع يتحكمون في الطرق والقوافل التجارية عبر الصحراء وعندما شعرت السلطة العثمانية باتساع نفوذه وتزايد أتباعه أثار ذلك قلق باي الغرب الذي عمل على تضييق الخناق عليه خوفا من قيامه لتنظيم ثورة ضد الوجود العثماني فأرسل إلى قصر بوسمغون يهددهم بطرد الشيخ احمد التجاني من بلدهم وإلا ستعرضون لعقاب الدولة [17]

وبسبب المضايقات والمطاردة التي تعرض لها احمد التجاني من قبل باي الغرب عثمان بن محمد قرر احمد التجاني الهجرة إلى مدينه فاس المغربية سنة 1213 هـ (1798 م)[18] ،حيث رحب به السلطان مولاي سليمان وقربه من مجلسه فعاش بمدينة فاس داعيا لطريقته و أسس زاويته بحي البليده سنة 1215 هـ (1801م)[19]، وتوافد عليه الناس للتبرك و قصد المبايعة لإتباع الطريقة بلدان مختلفة مثل السودان والسنغال و موريتانيا و بلدان المغرب العربي[20].

وما من شك إن استقبال السلطان المغربي مولاي سليمان للشيخ أحمد التجاني كان بسبب الصراع مع العثمانيين وذلك قصد دعمه ضدهم وليكون عونا له لكسب التأييد الشعبي لسلطانه ما دام أتباعه قد كثرو[21].

2- انتشار الطريقه التجانيه :

شهدت الطريقة التجانيه انتشارا واسعا بحيث وصلت إلى أقصى المناطق في إفريقيا في عهد مؤسسها وكثر أتباعها وذلك لبساطة تعاليمها وابتعادها عن البدع وتمسكها بالكتاب والسنة[22] وواصل التجاني رسالته الى آخر يوم من حياته إلى أن توفي عن عمر يناهز الثمانين عاما وذلك في يوم الخميس 17 شوال 1230 هـ الموافق 19 سبتمبر 1815م ودفن بزاويته بفاس قرب جامع القرويين[23].

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 40 - 55
hafidhistoire1463@gmail.com

خلف احمد التجاني ولدين وهما محمد الكبير ومحمد الحبيب وبناء على وصيته انتقلت الخلافة الى الحاج على التماسيني[24] ،وواصل هذا الأخير مهمته برفقة مجموعه من الشيوخ والفقهاء الذين واصلوا المسيرة علي نهج شيخهم.

3- علاقة الطريقة التجانيه مع السلطة العثمانية:

عرفت الطريقة التجانيه منذ تأسيسها مضايقات من قبل السلطة العثمانية وذلك بسببي المكانة التي تبوأها احمد ألتيجاني،والتفاف الناس حوله فأثار ذلك حفيظة بايات الغرب الجزائري الذين قاموا بمطاردته ، فكان ذلك سببا في اتساع الهوة بينهما وازدياد التوتر والاحتقان مما فسح المجال للمواجهة والصدام.

3-1- مرحلة العداء والتوتر:

إن التوسع الذي عرفته الطريقة التجانيه بشكل سريع نتج عنه تخوف وقلق الحكام العثمانيين تجاه الشيخ احمد التجاني، بحيث قاموا بالتضييق عليه ومطاردته إلى أن يلتحق بالمغرب الأقصى.

3-1-1- حملة الباي محمد الكبير 1198 هـ(1784 م):

قام الباي محمد الكبير بحملة عسكريه على عين ماضي مركز الطريقة التجانيه فقام بفرض ضريبة سنوية على سكانها التي تقدر ب 188 ريالا[25] ،يصف ذلك ابن هطال التلمساني قائلا: " ثم أصبح مرتحلا قاصدا عين ماضي فوصلها في ثلاث ساعات فلما رأي أهلها خيله قد طلعت وبنوده قد أقبلت فزعت قلوبهم وطاشت عقولهم وغلقوا الديار وعلوا الأسوار وهم مصرحون و بالطاعة وطلب الشريعة معلنون فنزلت المحلة بقرب السور بنحو المائة ذراع "[26]

لكن عندما رأى سكان عين ماضي وصول الجيش العثماني بقياده الياي محمد الكبير خرجوا مع نساءهم وأبنائهم وعلمائهم يتقدمهن النساء فلما رأي ذلك الياي أمر بوقف النساء في مكان بعيد وأذن للعلماء بالاقتراب وطلبوا منه أن يرفق بهم وان يا شفق عليهم و أن يعفو عنهم ويرفع الضريبة عليهم فقام بفرض لزمة أقل من الأولى فقد عبر ابن هطال عن ذلك بقوله:" وإذا بهم خرجوا بنسائهم وعلمائهم مقدمون النساء أمامهم وتلك كانت عاداتهم فلما دخلوا إلى المحلة أمر السلطان الياي من أوقف النساء بمكان بعيد..... وإذن العلماء في التقدم فقدموا وسلموا عليه وسألوه أن يرفق بهم ويشفق من حالهم وان يعفيهم من ألقطيعه الأولى التي فرضها عليهم فأنهم لم يقدروا عليها ولا طاقه لهم بدفعها فلم اسمع كلامهم واستقصى خبرهم أدركته الحنانة والشفقة

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 40 - 55
hafidhistoire1463@gmail.com

عليهم وجعل لهم لزمت اقل من الأولى..... وفي الغد أصبحت أهل عين ماضي يدفعون عطيتهم من الخيل والخدم والدراهم فدفعوا جزء وكملوا الباقي في اليوم الذي بعده" [27].

3-1-2- حملة عثمان باي إبن محمد الكبير 1201 هـ (1787 م):

شن عثمان باي حملته على عين ماضي مطالبا منهم دفع الضريبة التي فرضها أبوه على المدينة [28]، ونتيجة الضغوط المطاردات التي تعرض لها احمد التجاني وملاحقه الياي عثمان له بقصر بوسمغون هاجر إلى مدينه فاس برفقة مريديه وطلبته سنة 1213 هجري 1798 ميلادي فرحب به السلطان مولاي سليمان خاصة عندما علم إن سبب قدومه إلى المغرب هو جور الأتراك [29]، ومنح له قصرا مرتبه ورتب له ما يكفيه وذلك ليقربه منه [30] .

وبالرغم من الحملات التي قام بها بايات وهران على المنطقة فان خضوع سكانها لم يدم طويلا ولم تستطيع السلطة العثمانية القضاء علي احمد التجاني، فقد ازداد أتباع الطريقة وذاع صيتها فاعتبر بايات الغرب إن ذلك يهدد أمنهم، لذلك سعوا للحد من نفوذها وتشديد الحصار عليها و إرهاق سكان عين ماضي بالضرائب [31]،ذلك ما دفع السكان على مجابهة جيش الباي والثورة ضد السلطة الحاكمة [32].

وعلى الرغم من هجرة التجاني إلى مدينة فاس، فإنه طلب من سكان عين ماضي عدم الخروج على السلطة، ,وأمرهم بدفع الضريبة التي ألزمهم بها الباي، كما حثهم على التصالح معه وعدم مجابهته والتمرد ضده، فقد ورد ذلك في الرسالة التي بعثها لسكان عين ماضي والتي جاء فيه: " .... وأما أمر الياي معكم فاسمعوا مني نصيحة كاملة يبذلها الوالد لولده إذا كنتم تراعون نصيحته، فسيروا إليه في بلاده وأعطوه ما تقدرون عليه من المال، ولا تقاتلوه فإنكم لا خير لكم في قتاله، فإياكم ثم إياكم أن تخالفوه وتقاتلوه.... ولا تدبروا إلا في الصلح بينكم وبين الياي" [33] . وقد نستخلص من هذه الرسالة إن التجاني كان يرفض أية مواجهة مع الأتراك ولم يكن يفكر في تنظيم ثورة ضدهم .

وعلى إثر الرسالة التي بعثها أحمد التجاني إلى أهله تميزت العلاقات بين سكان عين ماضي والسلطة بالهدوء، واستمر الأمر كذلك بعد وفاته، وعودة ولديه محمد الكبير ومحمد الصغير إلى وطنهم عين ماضي برفقة خليفة أبيهم الحاج علي التماسيني، وازدادت الطريقة التجانية نفوذا

وانتشارا كبيرا، وقد أثار ذلك مخاوف الحكام الذين كانوا يرصدونها، وبخاصة أن التجانية ظهرت في وقت اشتد فيه الضغط على النشاط الديني[34].

3-1-3-حملة الباي حسن 1236هـ (1820م):

استغل الباي حسن عودة خليفة أحمد التجاني الحاج علي التماسيني برفقة والدي الشيخ، فشن حملة لإلقاء القبض عليهم، بعين ماضي، لكنهم استنجدوا بأعداء ابيهم وتحالفهم معهم وذلك انتقاما لطردهم سابقا من عين ماضي إلى جبل عمور[35].

قام الباي حسن بن موسى بحملة على عين ماضي مدة شهر كامل، ولم يتلقى أية مواجهة، وعرض عليه التجانيون مبلغا من المال قدره 350 الف فرنك مقابل رفع الحصار على المدينة، بشرط تأمين أرواحهم، فقبل الباي عرضهم، لكن بمجرد حصوله على الأموال قصف المدينة ، ولكنه فشل في اقتحامها ثم قفل راجعا إلى وهران [36].

3-1-4 حملة باي التيطري مصطفى بومرزاق 1238هـ (1822م):

لقد ازداد تخوف السلطة العثمانية من الانتشار السريع والكبير للطريقة التجانية، وكان ذلك متزامنا مع الاضطرابات التي أحدثها الطريقة الدرقاوية ببايلك الغرب، فقام الباي مصطفى بومرزاق بشن حملة على عين ماضي سنة 1238هـ (1822م)، غير انه لم تكلل حملته بالنجاح وعدم قدرته على اقتحام المدينة لشدة تحصيناتها [37].

3-1-5- حملة الباي حسن الثانية 1241هـ (1825م):

نتيجة فشل حملة الباي مصطفى بومرزاق دفع بالسلطات العثمانية إلى تجهيز حملة أخرى بقيادة الباي حسن سنة 1241هـ(1825م)، بحيث قام بحصار بلدة عين ماضي لمدة شهر كامل، وانتهى ذلك بعقد صلح مع الباي مقابل دفع سكان عين ماضي لضريبة سنوية تقدر ب، 500 ريال، وأن يدفعوا للباي ألفي ريال مقابل فك الحصار[38].

ومن خلال الحملات السابقة يمكن أن مجابهة السلطة العثمانية للتجانيين وحصار عين ماضي في العديد من المرات، ناجم عن تخوفهم من أن يقوم التجانيون بثورة عليهم وبخاصة عندما كثر أتباع الطريقة وتوسع نفوذها،إذ يتطرق المزاري إلى ذلك قائلا: " إن الباي حسن كان قد دخله التخمين بأن التجاني سيقوم عليه بالأصفى كقيام ابن الشريف الدرقاوي على الباي مصطفى،

لإقبال الناس عليه وانتشار صيته في كل ضاحية، فرام كسر شوكته قبل تزايدها وهدم قوته قبل تعاهدها، فجمع له جيشا عظيما وعددا كثيرا جسيما، وغزى به بعين ماضي... "(39).

ولم يكتف العثمانيون بالحملات التي قاموا بها، لكنهم كانوا يتتبعون تحركات ويرصدون نشاط الخليفة التجاني محمد الكبير فأثناء خروجه من بلدته عين ماضي باتجاه البقاع المقدسة أمر الداي حسين باي قسنطينة بإلقاء القبض عليه فور رجوعه ، ولكن الباي لم يتمكن من القبض عليه(40)، فازدد غضب واحتقان التجانيين على العثمانيين بسبب هذه الحادثة. ونتيجة الضغوطات والمضايقات التي تعرض لها التجانيون من قبل السلطات العثمانية، بادر محمد الكبير التجاني لمواجهة الباي حسن وإعلان الثورة عليه، لأنه لم يبق أمامه إلا خيار المواجهة بعد فشل أسلوب الصلح والمهادنة (41).

4- إعلان التجانية الثورة ضد السلطة العثمانية:

حتى يعلن محمد الكبير التجاني الثورة على العثمانيين قام بمراسلة خليفة والده الحاج علي التماسيني يخبره بأنه يشرع في التحضير للثورة على الأتراك الذين عاثوا في الأرض فسادا، ومما جاء في هذه المراسلة قوله: " يا سيدي بعد تفكير طويل قد عزمت على ذلك الأمر الذي تكلمنا فيه من قبل، وهو القيام بالثورة على هؤلاء العجم الذين أكثروا في الأرض الفساد، فأهلكوا الحرث والنسل، ولم يحكموا بما انزل الله تعالى من شريعة الإسلام"(42).

وقدم الشيخ محمد الكبير تبريرات لخليفة أبيه حتى يلقى دعما معنويا، بأن هؤلاء الأتراك بأنهم قتلوا العلماء والصلحاء وهاجر الناس ديارهم بسبب مضايقاتهم، كما أثقلوا كاهل الفقراء والفلاحين والتجار بالضرائب المجحفة، ويفرضون رقابة على قوافل التجانيين، وأن هؤلاء لم يقدموا شيئا للأمة الجزائرية، والله يأمر عباده بالنهي عن المنكر ومقاومة الظلمة فقد وردفي رسالته : " إن طغيانهم داخل البلاد أربى على الحد المحتمل، ومولانا عز وجل أمرنا بالنهي عن المنكر وجهاد الظلمة ولا بد للامتثال لأمره..."(43).

ورغم رد الحاج علي التماسيني على رسالة محمد الكبير بعدم مقابلة الأتراك بالعصيان والتمرد، لأن ذلك يشكل مخاطر جمة على أتباع الطريقة التجانية، وعدم التمرد عليهم كانت وصية والده أحمد التجاني، لكن عدم الاحتمال والحملات المتكررة على عين ماضي والضرائب و الغرائم

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 40 - 55
hafidhistoire1463@gmail.com

التي كانت تفرض على التجانيين دفعت بمحمد الكبير لشق عصا الطاعة وإعلان الثورة على العثمانيين [44].

4-1- تحالف محمد الكبير التجاني مع قبيلة الحشم :

عمل محمد الكبير التجاني على التمرد على العثمانيين وإعلان الثورة ضدهم بسب المضايقات والملاحقات التي تعرضت لها التجانية، فقد وجد في قبيلة الحشم السند الداعم له وذلك رغبة منهم في الانتقام من الباي حسن الذي قتل خيرة علمائهم وزعمائهم سنة 1242هـ (1826م) في ضيافة أعدها لهم بعد أن استولى عليه الشك في عدم ولائهم له [45]، وهذا ما وطد الصلات بين التجانية وقبيلة الحشم، فقاموا بمراسلته وحرضوه على التمرد والقدوم إليهم بمعسكر، ووعدوه بالوقوف معه لمحاربة الباي حسن[46] .

فقام محمد الكبير التجاني هو بدوره بإجراء اتصالات حثيثة معهم قصد قتال الأتراك، فقام بمكاتبة الحشم ومن كان يظن أنه سيقدم له يد المساعدة، وأعلمهم بموعد الثورة والجهاد ضد الأتراك العثمانيين.[47].

4-2- حصار التجاني لمدينة معسكر1242هـ(1826م:

انطلق محمد الكبير التجاني من عين ماضي سنة 1242هـ (1826م) باتجاه مدينة معسكر على رأس جيش يفوق ستمائة رجل من التجانيين يصحبهم جمع غفير من الصحراويين بعد أن انضم إليهم الحشم[48]، وعند وصوله هاجم مدينة معسكر من ناحية العرقوب والمعروفة بالحومة الغربية، فواجه مقاومة من قبل سكانها ومات من الطرفين خلق كثير[49]، وواصل حصارها إلى غاية أن اخضعها وإعلان سكانها الطاعة له، فقد أشار لذلك المزاري بقوله: " ثم رحل التجيني في يوم الإثنين لمدينة معسكر .... ونزل على الحومة الغربية وسط النهار وهي حومة العرقوب يريد الدخول إليها ويظفر بالمطلوب، فتلقاه اهلها بأسرهم بالقتال.... وأعانهم بني شقران على ذلك القتال، وقد مات من الفريقين خلق كثير"[50] ، لكنه استطاع الدخول إليها وسقطت المدينة في يده [51].

4-3- معركة عواجة ونهاية الثائر محمد الكبير التجاني:

لما بلغ الخبر للسلطة العثمانية أن محمد الكبير يحاصر مدينة معسكر، خرج باي وهران حسن بن موسى في جيش كبير ونزل بقرية الكرط، ثم اتجه نحو التجاني بخصيبة لمقاتلته، فالتحم الجيشان في منطقة عواجة بأولاد رحو[52]، فاشتد القتال بينهما في معركة حامية الوطيس، انتهت

بهزيمة التجاني بعد انسحاب قبيلة الحشم التي تخلت عنه مع الكثير من الأعراب بعد ساعة من القتال ولم يبق معه سوى ثلثمائة مقاتل[53].

أما فيما يتعلق بانسحاب الحشم من المعركة، يشير الزياني أن الباي حسن لجأ إلى خديعة تمثلت في ارتشاء أعيان قبيلة الحشم بالمال مقابل تخليهم عن محمد الكبير التجاني إذ يقول في هذا السياق: " ... ويقال أن الباي أعطى لأعيان الحشم وكافة العرب أمولا كثيرة فاوقعوا الهزيمة وفروا عنه وتركوه في جيشه الخاص منفردا"[54].

لكن رغم ذلك وتخلي الحشم عنه واصل التجاني القتال وصمد في المعركة، ولم ينسحب أحد من جيشه إلى أن قضى عليهم جيش الباي على بكرة أبيهم، فقد أشار إلى ذلك صاحب دليل الحيران بقوله: " ... فصار جيشه يذبون عن أنفسهم ويسارعون في مشيهم نحو بستان اولاد رحو، وهو بستان عظيم الهندسة ليتحصنوا به، فحال بينهم وبينه جيش الباي وأوقفوهم بموضع يقال له السمار وأداروا بهم دور مقياس، واشتد القتال بين الفريقين إلى أن قتل التجيني بجميع جيشه ولم يفلت منهم واحد ومات خليفته السيد إبراهيم بن يحي من اولاد سيدي محمد بن يحي، ومن جيش الباي عدد كثير منهم محمد ولد قدور البحثاوي وقايد غمرة وخلق كثير... ".[55]

وبعد الهزيمة التي تلقاها التجانيون، ومقتل محمد الكبير التجاني أمر الباي حسن بقطع الرؤوس وبعث بها الباي أمامه للمعسكر، وعاد الباي إلى معسكر ومنها إلى وهران. وقد شكل ذلك صدمة كبيرة للتجانيين ، وبخاصة بعد أن قام الباي بالتنكيل والتمثل بالجثث وتعليقها في العديد من المدن، ليكون ذلك عبرة لمن تسول له نفسه الخروج عن السلطة العثمانية، أما رأس وسيف التجاني ورؤوس البارزين من قادة التجانية بعثها الباي إلى الداي حسين مبشرا إياه بالقضاء على الثورة التجانية .[56]

بعد أن تصدت السلطة العثمانية للثورة التجانية بكل قوة وحزم ، ورغم ما كلفه ذلك من خسائر مادية وبشرية، كمقتل أعيان الباي حسن أثناء مواجهته لقبيلة الحشم المتحالفة مع الثائر محمد الكبير التجاني،[57] ورغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية ، لكن لم يمنعهم ذلك من التصدي بكل قوة للثورة التي فجرتها الطرق الصوفية ضدهم.

وما يؤكد بشاعة التنكيل التي تعرض له المقاتلين التجانيين ما حوته رسالة الباي حسن إلى قائد مليانة التي جاء فيها: " ... فالذي نبشر به خيرا إن شاء الله تعالى هو اننا طحنا محلة الظالم

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 40 - 55
hafidhistoire1463@gmail.com

إبن التجاني واحزابه، فقتلناه هو بنفسه وقتلنا خليفته وقطعنا رأسهما معا وقتلنا جميع من كان معه بمحلته، ولم يفلت احد منهم ما يزيد على ألف رأس، وسبينا جميع ما عندهم من خيول وإبل حتى الأخبياء جميعا، والحمد لله على هذه البشارة المباركة لقد هنيت العباد من ظلمه وفساده، وها نحن بشرناك والسلام بامر المعظم السيد الحسن باي آمنه الله أمين " [58].

1-4 موقف العلماء من التجانية وثورتها:

أسفرت ثورة التجانيين على ردود أفعال متباينة من طرف العلماء بين مؤيد ومعارض لها، ولعل من ابرز من عارض تعاليم التجانية محمد بن عبد الله الجيلالي رئيس مجلس الشورى ببلاط الباي محمد الكبير، إذ يرى أن تعاليم الطريقة التجانية وعقائدها منافية للسلفية، فقد بعث برسالة إلى شيخ الطريقة التجانية احمد التجاني يحذره وينصحه فيه بالتمسك بمنهج السلف، وبخاصة عندما بلغه إن احمد التجاني يزعم انه لا يوجد من بعد الصحابة رضوان الله عليهم إلى عصره عالم مثله فكتب له رسالة جاء فيها: " ... غير إننا تحيرنا في قولك من آخر عصر الصحابة إلى يوم ينفخ في الصور ما قاربني من أولياء الله فيما أعطاني الله من اتساع العلم، إلى أن قلت وذلك لا يدل على التفضيل... فأوقعت الناس في أمر هائل وجدل طائل ومعارضة في الكلام ومخالفة فيه... لا قائل إلى الكذب لتخبرني بمرادك، ومقصودك بهذا العلم الذي فقت به جميع أولياء هذه الأمة ... " [59].

يفهم من رسالة محمد بن عبد الله الجيلالي أن هناك مقالات صدرت عن اخمد التجاني أنكرها عليه بعض معاصريه من أهل العلم ، حتى وصل بهم الأمر بالتشكيك في تعاليم طريقته، وبخاصة أن احمد التجاني ادعى انه فتح له بطريقته ما لم يفتح لغيره ولا لأحد من قبله من الصحابة، وهذا ما جعل البعض من العلماء الوقوف إلى جانب العثمانيين في محاربة ثورات الطرق الصوفية، ومحاولة الحد من تأثير الطرق الصوفية بالنصح والإرشاد والتوجيه.

لكن ليس كل العلماء كانوا في صف واحد ضد التجانيةن فنجد بعضهم من دعم الثورة التجانية ، ومنهم ابو حامد المشرفي الذي لجأ إلى المغرب سنة 1844م وهناك كتب العديد من المؤلفات والتي تطرق فيها إلى العديد من المسائل ومنها ثورة التجانية في رحلته الموسومة بت ذخيرة ا أواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول ، وألفها سنة 1882م، واعتبر أن ثورة التجاني اعتبرها إحدى مظاهر عدم رضا الشعب الجزائري عن الحكم التركي فقد أشار إلى ذلك بقوله: " وما كان مع

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 40 - 55
hafidhistoire1463@gmail.com

ابن السيد احمد التجاني دفين فاس المحروسة، فقد أثار عليهم إبنه السيد محمد وجاءهم في نفير من رماة الصحراء، وساعدته قبائل الحشم ومن جاورهم وأعلنوا له بالنصر ". (60)

2-4 - هجرة العلماء إلى المغرب الأقصى :

لقد نجم عن تمرد التجانيين نتائج، تجلت في اتساع الهوة بين السلطة العثمانية والطرق الصوفية،نتيجة سقوط العديد من الضحايا الذين قتلوا أبشع قتلة، بقيام الباي حسن بالتنكيل بالجثث، ولم يسلم بعض العلماء من القتل أمثال الشيخ بلقندوز التجاني، والحاج محمد البوشيخي، وهذا ما دفع بالبقية من العلماء من أتباع الفكر الطرقي الهجرة إلى المغرب الأقصى، ذلك ما اشار إليه المشرفي بقوله" ففي حدود العشرين من قرننا هذا ثار عليهم درقاوة أهل النظافة في الدين والنقاوة ...".(61)

فقد وصل صدى ثورة التجانية إلى مقر الخلافة(62)، فجعل الحكام الأتراك يكنون العداء والكراهية لتعليم الطرق الصوفية ومنهم التجانية ولم تسلم هذه الأخيرة من المضايقات حتى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م ن فقد بعث التجانيون برسالة إلى الجنرال دولاروك الحكم العام لقسنطينة يطلبون فيها من الحكومة الفرنسية بالضغط على حكومة اسطنبول لإعادة ما ضاع لسكان عرش الحطمان وأولاد بوسيف والزوايد الموالين للأتراك.(63)

ولا أحد يشك بان الاستبداد والجور والظلم التي تعرض له الساكنة من قبل السلطة العثمانية وإن من أهم الأسباب في قيام الانتفاضات الشعبية التي كانت تحت مظلة الطرق الصوفية ومنها التجانية، فقد هذه الثورات المتعددة، عاملا أساسا في إضعاف القدرات العسكرية والحربية للعثمانيين بالجزائر، وانعكس سلبا على سمعتهم في الأوساط الشعبية ففقدوا بذلك الدعم والولاء الشعبي لهم. ونجم عن ذلك تذمر عام و وضعف سياسي، أفقد الحكام العثمانيين قوتهم المعهودة في التصدي للخطر الأجنبي، فقد تجلى ذلك في الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر سنة 1827م، فكان ذلك الوضع ، عاملا أساسيا في تسهيل مهمة الفرنسيين في احتلال وسقوط الجزائر في الخامس من شهر جويلية سنة 1830م.

خاتمة :

لقد حاولت من خلال هذه الدراسة إبراز الدور الذي تمثله الطرق الصوفية في مختلف الأصعدة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وقد سلطت الضوء عل الطريقة التجانية باعتبار انها

مثلت احد اهم حلقات الصراع بيين الطرق والسلطة العثمانية، وافرز ذلك جملة من النتائج سأحاول رصدها فيما يلي:

1- لقد أسهمت الطرق الصوفية منذ تأسيسها في جمع الكلمة ووحدة الصف منذ البداية للعثمانيين والوقف معهم في الجهاد ضد الصلبين، وانعكس ذلك أجابيا على استمرار الولاء الشعبي للعثمانين ومؤزرتهم لهم في سياستهم ومشاعرهم التوسعية والجهادية.

2- بعد تحرير ميناء وهران 1792م تحول رجال الطرق من مؤيدين للسلطة العثمانية إلى محرضين عليه وذلك ناجم عن سياسة العثمانيين التعسفية، ومما زاد من اتساع الهوة بين الطرفين تردي الحياة الاجتماعية، وأثقل كاهل القبائل بالضرائب المجحفة و الخوف الذي تملك نفوس الحكام العثمانيين من تنامي قوة وانتشار الطرق الصوفية ومنها التجانية.

3- وبسب ضعف السلطة العثمانية تحولت الطرق الصوفية إلى سلطة روحية ، وتمارس أحيانا دور السلطة المدنية في حل المشاكل وإنهاء الصراعات بين القبائل، فترسخ لدى العامة أن الطريقة والزاوية هي الملاذ التي يعودون إليه في كل المصائب والملمات.

4- فقد أدت الطرق والزوايا مهاما مختلفة دينيا واجتماعيا واقتصادية في الوقت الذي تخلت فيه السلطة العثمانية عن دورها الأساس برعاية السكان وتوفي الظروف الملائمة للعيش الكريم والتصدي للصوصي وقطاع الطرق وآثار المجاعات والأوبئة والأمراض التي طالما فتكت بالشعب الجزائري أيام العثمانيين.

5- فقد جنت السلطة العثمانية ثمار ما زرعت من الاستبداد والظلم والجور، بتمرد الطرق الصوفية، والتي فقدت سيطرتها بسبب المضايقات والمتابعات التي شنتها السلطة العثمانية على الطرق ومنها التجانية،فقد ولد ذلك الحقد والتذمر في أوساط العلماء ناهيك عن العامة، فزاد من تخوف العثمانيين من الطريقة التجانية بعد ازدياد مريديها ن فلجؤوا غلى سياسة القمع والتنكيل،فقد تجلى ذلك من خلال الثورة التجانية.

6- لقد كانت ثورة التجانية ضد السلطة العثمانية أحد السباب التي أسهمت في إضعاف القدرات الحربية للعثمانيين، وانعكس ذلك سلبا على ضعف السلطة المركزية التي فشلت أخير للتصدي إلى الخطر الأجنبي الأكبر المتمثل في الاحتلال الفرنسي للجزائر.

الاحالات و الهوامش :

1-عين ماضي : مدينة صغيرة ، وهي إحدى دوائر ولاية الأغواط ،تبعد عنها بحوالي 70 كلم وتقع غربا على سفح جبال لعمور ينظر :
E.Magin : Notes sur l'histoire de Laghouat ; R.A.N : 37 ,1893,p385.

2-الأرمي أحمد : الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ج1، المغرب، دار الطبع فضالة 2000م ص،ص : 46-45.

3- نفس المرجع، ص 53.

4- سيكرج أحمد بن الحاج العياشي : كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، لبنان، المكتبة الشعبية، 2002م ، ص 14.

5- حرازم علي بن العربي برادة المغربي : جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، المكتبة التجارية الكبرى، ص 34.

6- بن يوسف تلمساني : الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1997-1998م ص- ص 65- 66.

7 - Louis – Rinn : Marabouts et khouans ; alger , Adolphe, jordan, 1884, p :417

8- أحمد الأزمي، المرجع السابق، ص 61. - - - **بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص** 67.

9- حرازم علي، المصدر السابق، صص 34، 35.

10- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 68.

11. L. Amaud : Histoire de l'ouali sidi – Ahmed el- tedjani , R.A . N 33, 1889, p M 49

12 - شيخ لعرج : الطريقة التجانية ونشاطها في الغرب الجزائري 1782- 1838**م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر،** 2008- 2009**م، ص** 63.

13- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 71.

14 - Depont Octave, Cppolani,Xavier ;Les confréries religieuses musulmanes ,Alger, Adolphe, jourdan 1887p : 416.

15- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 72.

16- بلغ عدد أتباع الطريقة التجانية 313**ن بمعسكر وحوالي** 172**ن بتلمسان** 36**ن بالجزائر وبلغ عدد اتباعها حوالي** 23046**نسمة، وفي وثيقة اخرى ما يناهز** 62000 **: ينظر :**
A.OM , 16 H2 : Répartition par tribu de la population indigègne entre les divers ordres religieux de l'Algerie .aix- en Provence

17- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 72.

18- نفس المرجع، ص 74.

19 - , Op.cit,p418 Depont Octave, Cppolani,Xavier

20- شيخ لعرج، المرجع السابق، ص 100.

21- نفس المرجع، ص 97.

22- يسف تلمساني، المرجع السابق، صص 79- 81.

23- شيخ لعرج، المرجع السابق، ص 100**—عبد الباقي مفتاح ك أضواء على الشيخ احمد التجاني وأتباعه، الجزائر** 1988**' ص** 117.

24 - Op.cit,p.421. Depont Octave, Cppolani,Xavier

25 - Louis – Rinn : Op.cit :p 420.

26- حامد بن هطال التلمساني : رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، القاهرة، عالم الكتب، 1969**،ص ص**72- 74.

27- نفسه ، ص 74.

28- شيخ لعرج، المرجع السابق، ص 94.

hafidhistoire1463@gmail.com

29- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 74.

30 - Louis – Rinn : Op.cit :p 421..

31- شيخ لعرج، المرجع السابق، ص 120.

32- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، صص، 133- 135.

33- الحاج بن أحمد سيكرج العياشي، المصدر السابق، ص 404.

34- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 130.

35 - Louis – Rinn : Op.cit :p 423

36 - Ibid, p 423.

37- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، صص 230- 231.

38- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 242.

39- المزاري الأغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج1، ص 353.

40- الحاج أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق وتقديم أحمد توفيق المدني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1980، ص 159.

41- شيخ لعرج: المرجع السابق، ص 122.

42- مجموعة رسائل بين محمد الكبير التجاني والحاج علي التماسيني، بزاوية عين ماضي: ينظر: بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، صص 146- 147.

43- نفسه، ص 147.

44- نفسه، ص 146.

45- مسلم بن عبد القادر الوهراني: تاريخ بايات وهران المتأخر، أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الجزائر، ش و ن ت، 1974، ص 31.

46- المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 355.

47- محمد بن يوسف الزيانين المصدر السابق، ص 244. - المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 356.

48- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ج1، ص 31.

49- المزاري، المصدر السابق، ج1 ، ص 356.

50- نفسه، صص 356- 357.

51- نفسه ج1، ص ص 356- 357

52- الزياني: المصدر السابق، ص246..

53- الزهار، المصدر السابق، ص 159.

54- الزياني، المصدر السابق، ص 247.

55- نفسه ص 247.

56- المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 360.

57- نفس المصدر، ج1، ص 355.

58- نفس المصدر، ج1، ص 360.

59- سعيدوني ناصر الدين: والمهدي بو عبدلي: الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984، ص 186- 187.

60- العربي المشرفي: ذخيرة الأواخر والأول،فيما يتضمن من أخبار الدول، ينظر: عبد الحق شرف الجزائر في عيون الرحالة الجزائريين خلال القرن 19: المشرفي أنموذجا، دورية كان التاريخية، العدد20، يونيو، حزيران 2013م- رجب 1431هـ ص 26.

61- نفس المرجع، ص 27.

62- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 153.

63- رسالة من شيخ الطريقة التجانية سيدي محمد العيد التجاني بزاوية تماسين إلى الجنرال دولاروك بقسنطينة، مؤرخة في 1897/12/28م : وثيقة بأرشيف أكس برفنس تحت رقم 16H51.